وعندما رجع الملك في اليوم التالي ذهب بعض الجنود إلى عازف العود لاستدعائه فاكتشفوا أنه قضى ليلاً في دَعَةِ سريرِه الضيّقة، وكان موته موقفاً أخيراً من مواقف الاحتجاج.

وفي اليوم الرابع عشر كان المتسكّعون قد تعبوا وازداد تجمّع المخلصين عدداً. ومنعهم الحرّاس من الجلوس وأرغموهم على الاستعراض بصمت، وكانت سهرة نهارية طويلة كان يبدو «ماني» خلالها مُتململاً. وكان يُغفي ثم يستيقظ ويتحرّك ساعياً إلى فكفكة أطرافه المتيبِّسة. ولكنّه ما إن كان يصل إلى وضع حتى يسعى إلى العودة إلى الوضع السابق.

وخُيِّل في لحظة من اللحظات أنه سُمع يقول:

ـ لقد كتبتَ وكتبتَ ولم يقرأوا. وقلتَ شيئاً وفهموا شيئاً آخر. لقد أراد الناس شيئاً آخر.

وكانت دموعه تسيل فينظر المؤمنون بعضّهم إلى بعض ويتساءلون عمّا إذا كان يعنيهم هم بحديثه.

وفي اليوم السابع عشر ظُنّ أنها النهاية الوشيكة وترك الحرس التلاميذ يقتربون. وكان هناك سؤال واحد من بين جميع الأسئلة ينبغي أن يُطرح، غير أن قلب «ماني» كان ينبض في شفته السُّفلى، وعَدَل المؤمنون عن جعله يتكلّم خوفاً من زيادة لهاثه.

وكأنّما كان قد سمع ما ضاقت به صدورهم ولم يعبِّروا عنه ففتح عينيه. ليقول بنبرة جليّة:

ـ وبَعْدُ؟ إنّ ما كان فيّ من «ظُلُمات» سوف يعود إلى الظُّلُمات، وما فيّ من «نور» سوف يبقى «نوراً».

لم يُرْوَ غليلُ أيّ منهم. إلاّ أن كلام «الرسول» كان مُترنِّحاً فأذعن التلاميذ.